# المرأة والدين

تدينت المرأة وامتازت بالتدين والتقوى من قديم الزمان واشتهرت بكثرة الورع وصدق العبادة وحسن الايمان . وقد نفعت الانسانية بتمسكها بالدين وموازرتها للمشترعين نفعاً ثميناً يفوق الوصف وافادت العالم بعواطفها الدينية وغيرتها المذهبية افادات جليلة يفوتها العُرف موفهمت ارادة الله كما علمت وايدت مشيئته مثلما عليها تدربت واشبعت النفس احدى مغزياتها وكفتها اولى احتياجاً ولم تدع الرجل وحده يتحمل عناء الاشتراع ويقاسي مضض المقاومة والاضطهاد ويتعب بالتبشير والارشاد بل عاونته في كل ذلك بامور سطرها التاريخ وحقها ان تكتب بماء الذهب . وكانت ولا تزال تؤيد بلطفها مكانة العقائد وتلذف بايمانها شدة الجحود . ولكم من مذهب ما عاش لولاها ومن عقيدة دونها لم تكن

قالت مجلة المقتطف نقلاً عن الامير علي احد علماء الهند وقد اثبتها المشاهير — ما بحث احد عن اصل الاديان الا ورأى امرأة عند ينبوع كل ديانة روحية تبث الحياة في ذويها

وقد عرف الباحثون هذا الامر وتأكدوه ولم يبق مجال للريب فيه وصفحات التاريخ مفتوحة للباحثين وهي وان قصرت احياناً عن ذكر ذلك تصريحاً واوجزت ايضاحاً فكادت تلبس الحقائق على بعض مستطلعيها اياها وتتقاصر اقلامهم ظلال عتمتها فيتوهمون خلاف ما يكون الا انها معوضة تلميحاً ومسهبة دلائل والتلميح والاستدلال كثيراً ما يغنيان عن التصريح والتبيان

فقد استدلينا على اهمية تأثير المرأة في الدين وعظم خدمتها له عند اقدمين من تأليههم لها واتخاذهم اياها معبودة واقامتها كاهنة للمعبود واعتبارها نبية ووسيطة

بين الالهة والبشر . فضلاً عما رواه بصريح العبارة بعض المؤرخين . فكان البابليون والاشوريون واليونان والرومان واهالي مصر وفينيقيا وغيرهم يعبدون الالاهات كالآلهة ويقيمون لها التماثيل ويشيدون الهياكل ويخصونها بكهنة وكاهنات . وطالما سجد الاسيويون لسميراميس الشهيرة وهي لم تكن غير ملكة اشورية عظيمة الهوها باسم متعددة كانات اوانا وايستار وعشتروت وانتارانا وقد اثبت العلامة رمساي انه كان للنساء في اسيا الصغرى المقام الاول في امر الدين كما روى العلامة الدبس في تاريخ سوريا . والفينيقيون في ايام مجدهم قد اعتبروا الالاهات والالهة قنوماً واحداً بهيئتين مختلفتين وكان كهنتهم يلبسون في الاعياد ملابس النساء ويخضبون وجوههم بالحمرة ويزججون حواجبهم ويكحلون عيونهم ويمرون ايديهم الى الكتف ويرقصون . وكثير من الهياكل شادتها النساء وبعضها اعظم مما شاده منها الرجال كالهيكل الذي شادته استراتونيكا ملكة اشور في هيرابوليس ورآه لوسيان الروماني في القرن الثاني بعد المسيح اعظم هياكل زمانه . ولا يخفى ما في هذا العمل من تعزيز مظاهر الدين وتوطيد اركانها الحسية المنظورة كما لا يخفى ما فيه من النفع لاقوام ما ارتقت مداركهم الدينية لاكثر منه

هذه لمحة موجزة من تأثير المرأة السالفة في الدين البائد وخدمتها له وحسبها منه الكهانة فقط فضلاً عن التأله . اما تأثيرها في الدين الحالي واشهر انواعه اربعة الموسوي والبوذي والعيسوي والمحمدي فهي لم تحصر فقط بموازرة المشترعين وتنمهم الشخصي بل اتصلت مباشرة الى العموميات فتركت فيها خدماً جليلة تذكر لها بالشكر على ممر الدهر

ولدموسى الكليم في مصر والاسرائيليون فيها مضطهدون فكاد يتناوله امر فرعون بقتل اطفالهم لو لم تكن امه يوكابد ذكية عاقلة صنعت له وعاء وضعته

فيه واخفته بين الحيزران على ضفة النيل فحرسته شقيقته وجاءت ترموتيس ابنة فرعون لتغتسل فرأته واخذته وبواسطة اخته مريم سلمته لوالدته لترضعه دون ان تعرفها من تكون له فارضعته مع الحليب حب الاله الحق والغيرة على بني قبيلته وحفظ التقاليد العبرانية حتى اذا كبر يظل اسرائيليًا بنفسه ولو صار وزيرًا للمصريين ولما كبر موسى ورأته ترموتيس مستعدًا بفطرته للتعلم علمته عند الكهنة علوم قومها وكانت ارقى علوم ذاك الزمان وصانته من شر حسدهم من ذكائه وخوفهم من مستقبله وايحاس الملك بسمايتهم خوفًا منه . وبعد فتنه المصري لضربه العبراني هرب من مصر الى ارض مدين فازوجه كاهنها رعوئيل كريته سفورة فكانت عونًا له في كل اعماله وخلصته من القتل عند ماهم به الملاك في الطريق وهو آت لخلاص اسرائيل كما الهمه الله فبادرت حالاً الى ختن ولدها اليعازار بصوانة لئلا يذهب الوالد بجريرة اهماله ختانة الولد . وبعد التحرر من رقبة المصريين ذهب الكاهن رعوئيل لزيارة سفورة فراى زوجها متعبًا بالقضاء للشعب فاشار عليه باقامة قضاة له من العقلاء والفضلاء . واختلفت الاقوال في اختهِ مريم فقال بعضهم انها تزوجت وزوجها حور كان عونًا لاخويها موسى وهارون عل غلبة العمالقة في الحرب فان صح هذا القول او لم يصح فلا شبهة في انها ظلت موآزرة له الى اخر ايامها في اشغاله العمومية بدليل ما رواه يوسيفوس عن احتفاء الشعب الباهر بدفنها في قادش واتفاقه على الاحتفال من ماله العمومي ورثائه لها شهرًا وبقاء السكان يدلون على قبرها الى ايام اوسابيوس . ولما الهم الله موسى ان يقيم مظلة عظيمة ليعبده الشعب تحتها بناء على ان المنظور اكثر تأثيرا في النفس من غير المنظور كانت النساء تأتيه باسورتهن وخواتمهن وقلائدهن وكل ما عندهن من الحلى والجلود الثمينة والارجوان وكل حاذقة تغزل بيديها القماش اللازم

وبوذه الحكيم الهندي المنسوبة شريعته اليه وعدد اتباعها اليوم نحو من خمسمئة مليون من الناس ذاق لذة الطعام الشهي بعد الصيام الطويل من يد فتاة قروية قدمت له اللبن والعسل ولما انتشرت دعوته وتهافت الهنود على اعتناق مذهبه جاءته امته كوتامي وسألته ان ينشيء جمعية للنساء ليتلمذن له فيها كجمعيته للرجال وبناء على الحاحها والحاح بنات جنسها الف جمعية منهن لهن وجعل ادارتها اليه. وعندما توفي ملكة فاكودماك لايتل اليه وقد اضطهده وطارد انصاره ونهب بلاده وخربها بقيت المرأة على ولائه حتى ان الملك قتل احد نسبا ابيه لانها اوقدت مصباحاً اكراماً لبوذه. وكتب الهنود مملوءة من مآثر الامرأة في الدين البوذي والديانة البرهمية كامتلاء الكتب العبرية منها في مذهب كونفوشيوس والفارسية في مذهب زوردشت

ويسوع المسيح مؤسس المسيحية خدمته المرأة خدمات جلى وانفقت على خدمته من مالها الخاص ودهنت قدميه بالطيب تكراراً وقبلته في بيتها وآوته ولازمته حتى في اشد ايام نكبته عندما فارقه الرجل خوفاً من شر الكهنة والفريسيين وتبعته الى محل الصلب تنوح عليه بلا جزع وشيعته الى القبر واعدت لجثته الحنوط والطيب واكتشفت قيامته وبشرت الرسل بها وفازت بشرف الترامي لها قبل الرجل كما يصرح الانجيل عن مريم المجدلية ومريم ام يعقوب ويونا امرأة وكيل هيرودس الملك وسالومة وسوسنة وغيرها من رفيقات السيد على الارض

والرسل والمبشرون الذين نشروا الديانة المسيحية في العالم استفادوا من المرأة كثيراً لاسيما بتخبئتها لهم عن اعين المضطهدين واعتناقها الايمان بسهولة وايوائها اياه بين ذويها بكل ارتياح وتحملها عناء الاضطهاد معهم واستشهادها في سبيل الاعتقاد مثلهم وتشيطها الرجل بالتدوة والتحريض . وفي تاريخ انتشار

المسيحية بين الامم ادلة واضحة على فضل المرأة في الدين وخدمتها له وتأثيرها العظيم

لما شتت الاضطهاد التلاميذ ذهبت مريم المجدلية الى رومية وشكت الى طبباريوس قيصر صلب يسوع ظلماً وعدواناً فاستحضر بيلاطس وروساء الكهنة وجازاهم بالقتل ثم استصدرت منه امراً قاضياً بالموت على كل من يريد اضطهاد المسيحيين وهكذا كف اليهود عن الاضطهاد واستب السلام لكنائس اليهودية والسامرة والجليل وصار يزداد عدد المؤمنين . كل ذلك بفضل سعي مريم وهو من مؤيدات المسيحية ومثبتات اركانها كما لا يخفى فضلاً عما تلاه من سعي النساء لهذا الامر في ما بعد

فاول من اعتنق دين المسيح في مكدونية على عهد بولس الرسول ليديا بياعة الارجوان : ولم يصر للمسيحيين دولة رسمية يعتمدون عليها فتصونهم من المضطهدين وتؤيدهم وتعززهم الا على عهد قسطنطين الكبير ملك الرومانيين نجل الملكة هيلانة التي سعت جهدها لنشر المسيحية وصيانة اتباعها من الاضطهاد واكتشفت الصليب في اورشليم واهميته معروفة عند الارثوذكس . والكاثوليك وكانت مرغبة لابنها في التنصر وغيورة جداً على تأييد الدين وتعزيزه حتى اعتبرتها الكنيسة قديسة وهي اول ملكة نصرانية نالت نعمة التطويب واول من اعتمد من نسل ملوك الغاليين اجداد الفرنساويين طفل ولدته كلوتيلدا قرينة الملك كلوفس وهي التي بثت في قرينها الوثني روح المسيحية وحملته بالاقناع على اعتناقها والامر بتنصر الشعب كله حتى حسبوها بعدل في مصاف القديسات ولما تفاقم شر الخلاف بين المسيحيين بخصوص تكريم الايقونات والصليب وبقايا القديسين . تداركت الامبراطورة ملكة الروم وعقدت بعنايتها مجمعاً عظيماً في مدينة نيقية اشترك فيه البابا والبطاركة الاربعة وايدت وجوب التكريم وبما ان تيران هذا الشر لم تنطق

بقرار هذا المجمع بل ظلت تتقعد الى ايام الملكة تاودوره ارملة ثاوفيلبوس قيصر التي حكمت بالنيابة عن ابنها فاعتنت باطفالها واستصفاها بعنايتها وادبتها وخلصت الكنيسة من شرها الوخيم وهي التي نصرت الصابئة اجداد البولونيين على عبدها وبواسطتها ايضاً كما تنصرت وقتئذ شتينة برغورس ملك البلغار وكانت اسيرة عندها فهذه لما تحررت وعادت الى بلادها علمت اخاها الدين المسيحي وحببته اليه ولم تنفك عن تحريضه على اعتناقه حتى وافقته ظروف فاعتنقه وحمل شعبه على الاقتداء به والدور مندرجون تصروا على عهد ملكهم رولو الذي تنصر عندما اقترن بالاميرة جيسيل النصرانية ابنة الملك شارل الفرنساوي والملكة اولغا الروسية اول من اعتمد من امراء الروس وامبراتهم واول تدبسة دوّن اسمها تاريخ كنيستهم فانها سارت الى القسطنطينية واعتمدت في كنيسة اجيا صوفيا العظيمة وحاولة جهدها تنصير الروسيين وجعل المسيحية مذهب الدولة ولم تفلح سوى انها عززت المسيحيين وكرمتهم وهيأت شعبها لقبول مذهبهم حتى لما اراد ذلك حفيدها لملك فلادمير بعد ما اعتمد حيث اعتمدت واقترن بالاميرة حفيدة شقيقة ملك الروم كان الاقبال وافراً والتنصر بالغ الحد والصينيون اشرقت عليهم انوار الانجيل من زمان قديم ولكنها لم تنتشر بينهم كثيراً لموانع عارضة ولم يهنأ عيش المتنصرين منهم قبل اليوم الا عندما تنصرت ملكة منهم قبل نهاية القرن السابع عشر للمسيح . والهوتنتوت البرابرة سكان افريقيا الجنوبية عندما استعبدهم المهاجرون الدانركيون وحالوا دون وصول المبشرين اليهم ليخلو لهم الجو لتسخيرهم واسترقاقهم وبعد ان وصلوا رغماً عنهم ابعدوهم مدة خمسين سنة لم يخلوا اي الهوتنتوت من عجوز بقيت محافظة على نسخة من الانجيل اخذتها من جورج سميدت المبشر الجرماني . ولما كان المبشر الانكليزي موفات سائراً للتبشير في بلاد ناماكوا في افريقيا الجنوبية كانت النساء تأتيه باللبن للشرب

حالما يصل البيت ليرتوي وكان مرة يعظ في قورومان فتوقفت النساء عن اتمام حلب البقر والنعاج ووقفن مصغيات وبايديهن آنية الحليب . ولما انتهى وجلس ليستريح ويأكل عاد الناس يطلبون موعظة ثانية فاستمهلهم نصف ساعة لانه جائع فاسرعت احدى نساء سيد القبيلة واتته حالاً بكاس لبن ليقوى على التكلم كثيراً كما قالت له . وامثال هذه الحوادث كثيرة في التاريخ المسيحي فليتأمل المنصفون

ومحمد الرسول صاحب الشريعة الاسلامية نفعته المرأة نفعاً جزيلاً فكان يتاجر بمالها قبل الرسالة فيستفيد مالاً واختباراً وبعدها كانت عوناً له في مهماتها وقد ساعدته على اظهارها واذاعتها واعتمد عليها في نشرها وقال لقومه — خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء — وهو يريد زوجته عائشة لما كان لها من العلم والفضل والنفوذ والتأثير . وقد قال الامير علي — لولا المرأة ما صار الاسلام قوة حية : فانه قبلما عرف النبي حقيقة ما دعي اليه لما كان مرتاباً في حقيقة الاصوات التي كانت تناديه هل هي من الله او من سواه — لما كان في حالة اليأس والقنوط في ذلك الحين بادرت اليه زوجته خديجة التي كان يحبها ويكرمها فطيبت قلبه وشددت عزائمه . ثم لما قاوم اعتصاب ذويه عليه وبغضهم له وقفت بجانبه هذه المرأة الفاضلة ام المؤمنين وشاركته في السراء والضراء بل كانت اول من آمن به حين هجره كل احد . وكانت فاطمة ابنة النبي تجمع الصحابة والانصار رجالاً ونساء في بيتها او في المسجد وتقوم فيهم خطيبة بالوعظ والانذار ولا يزال كثير من مواعظها محفوظاً حتى اليوم وفيه ما يعود بالفخر وكانت نساء بني اميه تتقاطر الى المساجد ليسمعن خطب الخلفاء والعلماء ويتعلمن الفقه والتفسير ويعلمن اولادهن : ومن يراجع تاريخ الفتوحات الاسلامية

المؤيدة لعز الاسلام يري للمرأة اثاراً مشكورة افادت المذهب المحمدي افادات مذكورة .هذا فضلا عن خدمتها للرسول في حياته خدمات ماثورة

وبعد قتل الحاكم بامر الله ولي الدروز الاعظم تولت شؤون قومه اخته ست الملك الى ان بلغ ابنه سن الرشد وكانت ذكية عاقلة حازمة افادت مذهبها افادات ايدته الى اليوم

ولو شئنا نعدد اسماء الالاهات ونحصي عدد الكاهنات والنبيات ونذكر بالتفصيل كل الشهيدات والقديسات والوليات عند كل الامم قديمها وحديثها لضاق بنا المقام مهما فسح واحتجنا الى وقت اخر وصفحات لا تحصى . هذا اذا كان ذلك بالامكان بيد انه مستحيل

* * *

# كلمة الى الحسناء

للمرة الاولى تخطر الحسناء في انحاء الشرق لتتفقد احوال بناته وتسال من فيه عن ذوات القناع

للمرة الاولى تمسح حواء الشرقية دمعة الذل واليأس وترفع انظارها الى العالم المضطرب فتراه عيونا شاخصة اليها ثم يرنو بطرف كسير كمن يستجير ويسترحم فتندهش من رؤيته بهذه الحال لعلمها انها لا تستطيع ان تبدي شيئاً او تأتي امراً بمساعدته وهو عالم بقدرتها مقدر قوتها واستطاعتها .

اي ايتها الحسناء ان فتيات بلادنا اللواتي اغلق عليهن باب التحجب والتستر ليلقي في نفوسهن بذرة التهامل والخمول او ليدفعهن الى حب التقليد الاعمى .سوف ينظرن من وراء النوافذ الى اشعتك الباهرة واشراقك الزاهي فتدب الحرارة وتلمس